دراسة حول عمل المرأة فى التجارة الهامشية كقطاع من قطاعات العمل غير الرسمى فى مدينة الخرطوم

الهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على دور المرأة فى النشاط التجارى الهامشى فى الخرطوم. إنّ من المظاهر المألوفة الآن أن تجد أعدادا كبيرة من النساء يقمن بأنشطة تجارية مثل عرض السلع والبضائع فى الاماكن العامّة كالأسواق ومواقف المواصلات ، أماكن العمل المدارس وغيرها الى جانب الأعداد الأخرى التى تمارس هذه الأنشطة من داخل منازلهنّ. الى جانب ازدياد دور مشاركة النساء فى السوق فى امتصاص نسبة كبيرة من النساء فى المناطق الحضرية ،فانّه قد أدّى الى توجيه اهتمام الباحثين نحو استكشاف أنماط مشاركة المرأة فى الأنشطة المختلفة للتجارة الهامشية كقطاع من قطاعات العمل غير الرسمى والى العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى أفضت الى التحاق النساء بهذا العمل وتأثير ذلك البناء والتنظيم الأسرى.

اهتمت الدراسة بعرض المشاركة ،وتوضيح أهمية دراستها. إذ أنّه مع زيادة الاهتمام بالدراسات فى المواضيع المختلفة المتعلّقة بالمرأة إلا أنّنا نجد أنّ تلك الدراسات انحصرت فى قطاع عمل المرأة الرسمى دون اعتبار لعملها فى قطاع لا يقل أهمية وهو قطاع العمل غير الرسمى. فى القسم الأول من الدراسة تعرّضنا لتقنيات البحث وأدوات جمع البيانات . وقد كانت المقابلة أولى الأدوات التى استخدمت كأداة توضيحية لبعض المناطق ولفتح وتوسيع مجال الاستفسار والاستقصاء. وكانت بالتالى أساسا للطرق الأخرى التى اتبعت . أستخدمت استمارة الاستبيان كأداة ثانية لجمع البيانات ووجهت الاستمارة لثلاثمائة امرأة عاملة فى النشاط التجارى الهامشى. أمّا المصادر الأخرى للمعلومات فكانت الكتب والمجلّات والصحف اليومية الى جانب كثير من الدراسات المقارنة من أجزاء مختلفة من العالم. تمّ اختيار مفردات العينة تبعا لأماكن تجمّعات النساء العاملات فى التجارة الهامشية بحيث تختلف كل طبقة عن الأخرى بحسب حجم تركز النساء

العاملات فيها . حيث قسّمت منطقة الخرطوم الى عشرة أقسام والخرطوم بحرى الى ستة وأمدرمان الى ثمانية أقسام. حفت باختيار العينة صعوبة تحديد إطار العينة نسبة لعدم معرفة الحجم الكلّى والحقيقى للنساء العاملات فى هذا المجال ولذلك كان الاعتماد على طريقة العينة الاحتمالية لاختيار مفردات العينة من الحجم التقريبى لعدد النساء فى المناطق المختارة فى المدن الثلاث .

واستخدمت الطريقة الاحتمالية لاختيار العينة أيضا فى اختيار ١٤٠ امرأة من الخرطوم و١٠٠ من أمدرمان و٦٠ امرأة من منطقة بحرى وبذا يبلغ حجم العينة الكلّى ثلاثمائة ،كما أنّ الاختيار الحقيقى للمفردات من كل الأقسام تمّ عشوائيا عن طريق نظام العينة العشوائية المنتظمة. واتجه القسم الثانى من الدراسة لنقد الكتابات عن عمل المرأة فى إطار النظريات الماركسية والنسوية ،وتحديد مدى تأثير ذلك على الاطار النظرى للدراسة مشيرين الى أهمية هذه النظريات ، وجوانب القصور فيها ،ومدى فائدتها وأهميتها فى دراسة عمل المرأة فى التجارة الهامشية فى السودان.

شدّد القسم الثالث من الدراسة على أهمية دراسة عمل المرأة فى التجارة الهامشية فى إطار العمالة الكلّى فى السودان،فتوضيح عمل المرأة فى قطاع العمل الرسمى يعطى فهما أعمق لتوضيح مركز المرأة فى الأنشطة المختلفة لقطاع العمل غير الرسمى وفى إطار النظام السياسى الاقتصادى والاجتماعى. تناول هذا القسم أيضا مشاركة المرأة فى القوى العاملة فى دول العالم الثالث والدول المتقدمة سواء الرأسمالية منها أو الاشتراكية ،ودراسة العوامل المختلفة التى حدّدت مركز المرأة فى سوق العمل لهذه الدول. ودرسنا فى هذا القسم بتوسع عمل المرأة فى السودان. فقد قدّمنا خلفية تاريخية للفترات المختلفة فى السودان والتطوّر الاقتصادى والاجتماعى قبل الاستعمار حتى الفترة المعاصرة والعوامل التى أسهمت فى تشكيل أنماط مشاركة المرأة فى القوى العاملة مثل تعليم وتدريب المرأة ،وقوانين العمل،وسوق العمل والفرص المتاحة للمرأة لارتيادها الأفكار والأيديولوجيات التىنظر بها المجتمع لعمل المرأة. وأعقبنا ذلك بمناقشة لعمل المرأة فى أقاليم السودان

المختلفة مع الاهتمام أيضا بالمقارنة بين السودان ودول العالم الثالث والدول المتقدمة في هذا المجال. اهتمّ الجزء الرابع بدراسة العوامل المختلفة التي أدّت لعمل المرأة في القطاع غير الرّسمي، وأوضحنا في هذا الجزء مفهوم القطاع غير الرّسمي وخصائصه وفئاته الى جانب الدور الذي يقوم به. كما قدّمنا عرضا نقديا للنقاش الذي يدور حول عمل المرأة في قطاع العمل غير الرسمي وأهم العوامل التي أدّت الى اشتراك المرأة في هذا القطاع وأنواع النشاطات المختلفة التي تساهم وتشارك فيها المرأة، كذلك استعرضنا الدراسات التي اهتمّت بهذا النشاط في دول العالم الثالث بالاضافة الى تعريف مفهوم التجارة الهامشية في السودان، خصائصها، فئاتها واستعراض للدراسات السودانية في هذا المجال.

من أهم نتائج الدراسة أنّها أوضحت أنّ عمل المرأة في التجارة الهامشية يؤثر على وضع المرأة ودورها داخل الأسرة، كما يؤثر على اتجاهات النساء في تنشئة ورعاية الأطفال وتعليمهنّ، وعملهنّ، كما يؤثر أيضا على مسلكهنّ تجاه الانجاب، وحجم الأسرة، ومدى ادراكهنّ لقيمة عملهنّ، والمشاكل والصعوبات التي تواجههنّ

ومن نتائج البحث أيضا بيان التردّي الاقتصادي والاجتماعي الذي دفع المرأة للعمل التجاري الهامشي. وقد اختارت النساء العمل الهامشي بسبب ارتفاع نسبة الأمّية بينهنّ التي تصل الى ٨٧ في المائة في أوساطهنّ. كما دفعهنّ الى ذلك خلوهنّ من المهارات، علاوة على أنّ التجارة الهامشية تتميّز بالدخول السهل الى ساحتها، فهي لا تتطلّب مهارة معروفة أو رأس مال كبير. ولذا هرعت اليها النساء كصمّام أمان لحياتهنّ وحياة أسرهنّ. أشارت الدراسة كذلك الى انتشار نمط الزواج التعدّدي حيث يرتفع الى ٣٨ في المائة من حجم العينة ممّا يزيد من عبء الزوج في إعالة زوجاته وأطفاله خصوصا إذا أدركنا أنّ ٣٦ في المائة من الأزواج في العينة عاطلين عن العمل. بينما النسبة المتبقية تعمل في الأعمال الهامشية ذات الدخول الدنيا. كل هذه العوامل، الى جانب ارتفاع نسبة الاجانب في هذه الأسر، دفع النساء الى العمل الهامشي لاسعاف أسرهنّ من الفقر. ووجدت الدراسة أنّ الهجرة أيضا من العوامل الرئيسية لعمل المرأة في التجارة الهامشية في

٧٨ فى المائة من عينة نساء العمل الهامشى ممّن هاجرن من أقاليم السودان المختلفة حيث جاء ٥٥ فى المائة من هؤلاء النساء المهاجرات من غرب السودان حيث يضرب الجفاف والتصحّر أجزاء كبيرة من كردفان ودارفور فى السنوات الأخيرة. وقد أدّى ذلك لتدهور الحياة الاجتماعية والاقتصادية كذلك واجهت المرأة فى الشرق مشكلة الجفاف وتدفق اللاّجئين وهاجرت الآلاف من الأسر من جنوب السودان أيضا بسبب الحرب واختارت النساء المهاجرات ساحة التجارة الهامشية كأفضل وسيلة لهنّ لكسب العيش. وأظهرت الدراسة أنّ عمل المرأة يؤثر على حياة الأسرة وتنظيمها،وعلى رعاية الأطفال وتنشئتهم كما تؤثر تلك الرعاية على مدى مساهمة المرأة فى العمل التجارى الهامشى من حيث الاتساع والمواصلة.

كما يؤثر عمل المرأة أيضا على تنظيم دخل ومنصرفات الأسرة إذ أنّ نسبة ٧٠ فى المائة من النساء فى العينة هنّ مصدر الدخل الرئيسى للأسرة كما أنّ دخل ٥٠ فى المائة منهنّ هو الدخل الوحيد بالنسبة لأسرهنّ. فالمرأة هنا تساهم مساهمة فعّالة فى عملية التخطيط وتحديد ميزانية الأسرة وكذلك فى توزيع الدخل على الأوجه والجوانب المختلفة لحياة الأسرة.

وقد وضعنا العمل المنزلى فى الاعتبار من حيث تأثيره على حجم نشاط المرأة التجارى،وكذلك أثر عمل المرأة على دورها داخل المنزل ودور باقى أفراد الأسرة والأقارب فى تقليل هذا الجهد ومساعدتهنّ فى العمل المنزلى.

وناقشت الدراسة أهمية العمل بالنسبة للمرأة وتقويمهنّ له من وجهة نظرهنّ ودوره فى حماية الأسرة وتحقيق الاستقرار. كما تعرّضنا لمدى رضا النساء عن عملهنّ ورغبتهنّ فى الاستمرار فيه. وتمّت دراسة مشاكل المرأة فى التجارة الهامشية،ومن أهم تلك المشاكل هو نقص الحماية وعدم الأمان لوضعهنّ فى السوق إذ أنّ معظمهنّ يعملن بدون رخص تجارية. وبذلك يعتبر عملهنّ غير قانونى. ولذا يتعرّضن دوما لحملات الشرطة ويكنّ ضحايا لمختلف السياسات من السلطة كازالة مواقعهنّ وفرض الغرامات ومصادرة بضائعهنّ فى كثير من الأحيان. من المشاكل الأخرى التى تعرّضنا لها قلّة الدخل نسبة لتدنّى مستوى

المهارات وتدنّى الانتاجية وقلّة عائدها، وتشكل المنافسة فى السوق مشكلة أخرى خصوصا المنافسة من جانب الرجال الذين يتركزون فى القطاعات التى تدرّ عائدا أكبر ممّا يسبّب انخفاضا فى الاقبال على سلع النساء. وتشكل صعوبة المواصلات وارتفاع أسعار المواد وصعوبة العمل نفسه مشاكل حقيقية تواجه المرأة فى التجارة الهامشية.

ومن المقترحات التى خرجت بها الدراسة لتحسين أوضاع النساء فى التجارة الهامشية هو أن تغيّر الحكومة والمجتمع نظرتهما للنساء العاملات فى هذا القطاع. كما نبّهنا الى أهمية موالاة ظاهرة النساء فى العمل الهامشى بالدراسة حتى تتضح جوانبها وديناميكيتها، والنصح بشأن ترقية هذا القطاع ليصبح أكثر انتاجية ومصانا بالضمانات. فمن الممكن مثلا تسهيل حصول المرأة على رأس المال باقتراضها من مؤسسات متخصّصة تتولّى ارشادها بشأن الاستثمار الأفضل ذى العائد. ويمكن للسلطات المحلية أن تكون إيجابية تجاه عمل المرأة الهامشى باستصدار الرخص المناسبة وتهيئة المواقع المعلومة لممارسته. ومن شأن البحوث عامّة أن تؤثر على السياسات التى تتبعها الدولة حتى تتجه نحو وضع أفضل للعاملات فى مختلف أنشطة قطاع العمل غير الرسمى.

هدى مبارك ميرغنى
ماجستير إجتماع
كلّية الاقتصاد والدراسات الاجتماعية